

الإنسان أقوى من الشيطان

للكاتب الإسلامى

الشيخ

عطيه عبد الرحيم عطيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله تعالى خالق الأكوان لا خالق غيره ولا معبود
سواه خلق الإنسان من التراب وصوره في أحسن
صوره .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾^(١)

خلقه سبحانه فأحسن خلقه وترك له الحرية الشاملة
في خلقه .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ
بِهِمْ سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾^(٢)

سبحان رب العالمين أكرم عباده المؤمنين وكرمهم
على الخلق أجمعين وأسجد الملائكة لأبيهم آدم ،
وأطاعت الملائكة رب العالمين إلا إبليس شاء لنفسه
الكفر والعصيان فطرد من رحمة رب العالمين .

(٢) الكهف / ٢٩

(١) التين / ٤

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (١١).

تملك الشيطان الغرور ونسى عظمة الله رب العالمين فأعمى الله بصيرته فظن أنه أفضل من آدم الذي خلقه الله تعالى من التراب ثم قال له كن فيكون . فقال الشيطان : كيف أسجد لمن خلق من الطين وقد خلقت من النار التي هي أفضل من الطين .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . قَالَ

(١١) الكهف . ٥

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾ .

قللك الغرور ونسى عظمة الله رب العالمين فأعشى
الله بصيرته فاستكبر وظن أنه من العالين وقال أنا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين .

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ
مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ
عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي
إِلَى يَوْمِ نُبْعُوثٍ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْوَلَاةِ الْمَقْلُومِ . قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُخَوِّدَهُمْ
أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ . قَالَ فَالْحَقُّ
وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأَقْلَعَنَّ مِنْ جَهَنَّمَ مِثْلَ شَجَرَةٍ
أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

ورب العباد جعل للتراب فضلا على خلقه وجعله
فى مكان القوة وجعل النار ومن خلق منها فى مركز
الضعف فمن اتبع الضعيف الذى خلق من النار فهو من

أهل النار ومن تمسك بالتراب الذي خلق منه فلا سلطان عليه من الضعيف الذي خلق من النار .

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَنَاسٍ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(١)

فمن لم يتمكن الإيمان من الإستقرار فى قلبه وسلك طريق الشيطان الضعيف لعنه الله إلى يوم الدين خشية الفقر وطعماً فى الغنى والجاه والسلطان أفقره الله وأذله وجعله من حطب جهنم .

فالمؤمن لا يخاف الفقر ولا يخشاه ، وكيف يخافه وهو عبد الغنى القادر الرازق ، والله تعالى يطمئن المؤمن الذى يحسب للفقر حساباً ويقطع على نفسه عهداً أنه سيغنيه ويزيد فى رزقه .

فيقول سبحانه :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ مَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢)

(٢) التوبة ٢٨

(١) الحجر ٤٢ - ٤٣

الأرض و إِبْرَاهِيمَ

خلق الله تعالى الأرض ثم خلق آدم عليه السلام **سِرِّ إِبْرَاهِيمَ**
ليكون فيها خليفة ، وأسجد له الملائكة سجود احترام
وتعظيم وليس سجود عبادة ، ولما كانت خلافة آدم
للأرض أمراً لا تدركه الملائكة سألت ربها عن شيء لا
تعلمه وهو من حقه سبحانه فقالت الملائكة :

أجعل يا ربنا في الأرض من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسيح بحمدك ونقدسك وخلقتنا من النور
ووهبتنا ذكرك وشكرك وحمدك ؟

قال رب العالمين لهم :

إن ذلك أمر أعلى من إدراككم وأنا أعلم ما لا
تعلمون ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
كُلَّهَا ثُمَّ حَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

يَا سَاءَ هَؤُلَاءِ . إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا
أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

خلق الله تعالى آدم من تراب الأرض كما خلق
منها أكرم خلقه الأنبياء والرسل . ولذا كرم الأرض
وأحسن زينتها وجعلها منبعاً للخير فمن صنع خيراً
يساوى ذرة من ذراتها (أجزى) الله تعالى له الخير ومن
صنع مقدار ذرة من ذراتها من شر حاسبه الله تعالى
عليه :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢) .

(١) البقرة ٣ - ٣٤ (٢) الزلزلة ٧ - ٨

فالأرض منبع الخير لجميع من خلق من إنس ودواب
وطيور وهوام .

يقول عز وجل :

﴿ أَتَنَعَّمُ أَفَدُّ خَلَقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا .
رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
مِنْهَا مَاءَهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا وَمَوَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ (١) ﴾

ورب العزة أكرم الأرض وجعل ما عليها زينة لها
اختباراً وابتلاء لأبنائها .

يقول سبحانه :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ هَمَلًا ۝ (٢) ﴾ .

ولقد قرن الله تعالى السماء مع الأرض في كثير
من آيات القرآن الكريم وهذا شرف عظيم لم تتمتع به
النار .

(١) النازعات ٢٧ - ٣٣ (٢) الكهف ٧

فعرّف الله تعالى أن عرض الجنة كعرض السماء والأرض وذلك شرف عظيم . ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

فإذا قال قائل :

إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فكيف يكون الطول وأين تكون .

فرب العزة يقول :

﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ ظَهْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ تَوَرَّدُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٢) .

وكما يسبح أهل السموات يسبح أهل الأرض الكل يسبح بحمد الله رب العالمين لا إله إلا ^{الله} ^{الحي} ^{القيوم} ولا معبود سواه .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَهْجُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

لا تبتغوا

(٢) إبراهيم ٤٨

(١) آل عمران ١٣٣

عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا . تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
الشَّعْشَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَقْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا ^(١) .

فكل ما خلق يسبح بحمده سبحانه وتعالى عما
يشركون ﴿ وَتَسْبِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ
خِطَابِهِ وَرُسُلُ السَّوَاقِ فِيْهِمْ بِهَا مَنْ يَشَاءُ
وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ . لَهُ
دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَذِبُهُ إِلَى الْمَاءِ
لَا يَبْلُغُ قَاهُ وَمَا هُوَ بِهَالِكِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ ^(٢) .

ولقد ذكر الله تعالى الأرض في القرآن الكريم في
٤٦٣ موضعا كما ذكرها مع السماء في ٢٢١ موضعا
من كتابه الكريم ، وذكر النار في ١٢٣ موضعا كلها
للعذاب والتنكيل بمعنى عصي واستكبر .

(١) الإسراء ٤٢ - ٤٤ (٢) الرعد ١٣ - ١٤

①

ولم يذكر الرحمن الرحيم النار في موضع خير إلا

في آية واحدة عندما قال موسى لأهله عندما رأى نارا

عن بعد فقال لهم :

انتظروا مكانكم حتى أصل هذه النار لعلى أجد
فيها خيراً أو هدى .

يقول جل شأنه :

﴿ وَهَلْ آتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي
آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى .
فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
فَاخْلَعْ ثَعْلَبَكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى . وَأَنَا
أَخْفَرُكَ فَاسْتَجِبْ لِمَا يَرْحَى . إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝ (١) ﴾

(١) طه ٩ - ١٤

ابن التراب أقوى من ابن النار

خلق الله تعالى الإنسان من التراب وخلق الجان من
مارج من نار والنار عدو لدود للماء والتراب الذي
فضلهما الله تعالى عليها إذ جعل التراب وما خلق من
التراب أكرم وأعز وأفضل عنده سبحانه على من خلق
من النار .

ولقد حرص رب العزة بفضله وعظمته على تكريم
من خلق من التراب بيديه ونفخ فيه من روحه وقال له
كن فكان بإذنه إنساناً سوياً ولم يبخل على الأرض
بمَدَدَتِ المساعدة لها من السماء عند الحاجة فأرسل لها
الماء من السماء ليحيى به الأرض بعد موتها .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا . وَهَبْنَا قُصْبًا . وَزَيَّنَّاهَا أَنْعَامًا . وَجَعَلْنَا
غُلًّا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ ۝ (١) ﴾

(١) عبس ٢٤ - ٣٢

والتراب مع الماء آية من آيات الله العظمى فقد
كان الماء شريكا مع التراب فى خلق كل كائن حى .
﴿ ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

فإذا ما دب الموت فى التراب كان ماء السماء له
حياة بقدرة الله الخالق ولقد سخر الله تعالى السموات
بما فيها من الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض
واختلاف الليل والنهار والفلك التى تمخر عباب البحار ،
وكل ما دب على الأرض لصالح الإنسان ابن التراب
الذى فضله ربه وكرمه .

يقول رب العالمين :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْهَرَمِ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٢)

(٢) الإسراء ٧٠

(١) الأنبياء ٣٠

وقال في آية أخرى :

﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَاءِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا
يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ
فَأَخْجَأَ بِهِ الْأَرْضَ بِعَذْوَيْهَا وَمَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ
دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

فالقادر رب القوة والعظمة ينزل الماء من السماء
بفضله ليطهر أهل الأرض ويذهب عنهم كيد الشيطان
وليثبت أقدامهم أمام عدوهم .

﴿ إِذْ يَغْشَىٰ كُفْرُ النَّاسِ آمَنَةً مِنْهُ وَنَزَلَ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ
عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ
بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (٢)

فتكريم الله تعالى للمؤمنين من ولد آدم نصر من
عنده سبحانه له وهزيمة منكرة للشيطان ابن النار .

(٢) الأنفال ١١

(١) البقرة ١٦٤

وبالقرآن الذي أرسل به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ
ينتصر الإنسان على الشيطان وأعوانه من شياطين
الإنس .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُ
عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾^(١)

ويقول سبحانه :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا
عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَلَغَتْ فِي الْقُرْآنِ عُتْدَةً لَكُم مَّا تَوَلَّوْا عَلَى
أَعْيُنِهِمْ فَثَبَّطُوا قُلُوبَهُمْ فَقَدْ أَصْبَحُوا عَلَى تَلْوَاهِهِمْ أَذْهَارًا مِمَّا يَبْلُغُونَ ﴾^(٢)

وعن سيرة ابن أبي الفاكه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قعد

لابن آدم بطرقه قعد له بطريق الإسلام فقال :

(١) النحل ٩٨ - ١٠٠ (٢) الإسراء ٤٥ - ٤٦

أتسلم وتذم دينك ودين آبائك ؟

قال :

فعصاه وأسلم

قال :

وقعد له بطريق الهجرة فقال :

تهاجر وتدع أرضك وسمااك - وإنما مثل المهاجر

كالفرس فى الطول .

فعصاه وهاجر

ثم قعد له بطريق الجهاد وهو الجهاد بالنفس والمال .

فقال :

تقاتل وتنكح المرأة ويقسم المال ؟

قال :

فعصاه وجاهد

وقال رسول الله ﷺ : « فمن فعل ذلك منهم فمات

كان حقاً على الله أن يدخله الجنة .

وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن

غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته

دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة .

فإذا تمكن الإيمان من قلب ابن آدم خافه الشيطان
وهابه وفزع منه

قال رسول الله ﷺ فى حق عمر بن الخطاب رضى
الله عنه :

« لو سلك عمر طريقا لسلك الشيطان طريقاً آخر
»

وهذا هو شأن الشيطان مع إبراهيم أبو الأنبياء
عليه السلام ومع زوجه هاجر ولده إسماعيل .

رأى إبراهيم عليه السلام فى نومه أنه يذبح ولده
إسماعيل ورؤيا الأنبياء صدق ، فامثل لأمر الله
عز وجل وحكمه ، وقصى على ولده إسماعيل ما
رأى .

فقال له ولده الذبيح إسماعيل بكل ثقة وإيمان .

« يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من
الصابرين » فوسوس إليه الشيطان الضعيف ليصرفه
عن ذبح ولده فرجمه بالحصى من الأرض التى منحها
الله القوة والغلبة على الشيطان فهزمه وكان ذلك عند

الجمرة الأولى .

ولكن الشيطان الرجيم لم ييأس فتوجه إلى زوج إبراهيم هاجر لعله يبلغ مأربة وهى المرأة الضعيفة ، وأخذ يقبح لها عمل زوجها فرجمته بالحجارة من الأرض وكان ذلك عند الجمرة الثانية .

ولما بلغ منه اليأس مبلغه لم يجد أمامه إلا الذبيح فحاول إغراءه على مخالفة إبراهيم أبيه لأنه سيقتله .

لم يستمع إسماعيل إلى وسوسته ورضى بالموت وعصاه ورجمه بالحجارة ، وكان ذلك عند الجمرة الثالثة .

فبقيت تلك سنة فى الحج إلى يوم الدين ليثبت الله تعالى لخلقه أن التراب أقوى من النار والإنسان أقوى من الشيطان .

وهذا هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقهر الشيطان يوم الهجرة وينام فى فراش رسول الله وهو متأكد من أنه مقتول لا محاله ولكنه افتداه بروحه .

ولقد ورد فى الأثر أن الله تعالى قال لجبريل

وميكائيل : إني جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر
فمن منكما يؤثر أخيه ؟

فاختار كل منهما الحياة

فأوحى الله تعالى إليهما :

ألا كنتما مثل على بن أبي طالب آخيت بينه وبين
نبيي محمد فافتداه بروحه ونام في فراشه ليحفظه من
عدوه .

اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فوقف جبريل
عند رأسه وميكائيل عند رجله فكان إذا تحرك على .

قال جبريل : بخ بخ يا ابن أبي طالب من مثلك
وربك يباهى بك الملائكة .

ولقد بين رسول الله ﷺ ضعف الشيطان في خطبه
الوداع فقال :

أيها الناس :

« إن الشيطان قد يشس من أن يعبد بأرضكم هذه
أبدا ولكنه ارتضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون
من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم » .

قال القرشى :

سمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن

قال : كانت هناك شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة .

فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه إبليس فى صورة إنسان فقال : ما تريد ؟

قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله .

قال : إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟

قال : لأقطعنها

فقال له الشيطان : لن تتمكن من قطعها .

فقال الشاب : ومن الذى يمنعنى ؟

قال الشيطان : أنا .. فاصطربا فكان الشيطان على

يد الشاب المؤمن أخف من الريشه فألقاه على الأرض

وجثا عليه بركبتيه حتى كادت تزهرق روحه .

فأخذ الشيطان أن يتوسل إليه ويقول : إن لى

أطفالا صغارا أراهم فإن قتلتنى فكأنك قتلتهم جميعا

إذهب وافعل بالشجرة ما تشاء ، فتركه الشاب .
فقال له الشيطان : إن لى فى هذه الشجرة رزقا لى
ولأطفالى وأنا استسمحك فى تركها ثلاثة أيام ولك
على كل يوم ديناران إذا أصبحت عند وصادتك .

قال : فمن أين لى ذلك ؟
قال : أنا آتيك بها ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند
وسادته ثم كان ذلك وظل الشيطان يضع له الدينارين
كل يوم حتى بلغت خمسة أيام وفى اليوم السادس
انقطع .

فقال الرجل : لعل المانع خيرا سأنتظر إلى باكر لعل
الدنانير تصل وظل على تلك الحال ثلاثة أيام أخرى
دون جدوى .

فأعد الشاب عدته وذهب إلى الشجرة ليقطعها
فقابله الشيطان
فقال له : إلى أين أنت ذاهب
قال : إلى الشجرة غريبة الأطوار لأقطعها حتى لا
يعبد فى الأرض إلا الله .

فقال الشيطان : لن تتمكن من قطعها .

فقال الرجل : ومن يمنعني ؟

قال الشيطان : أنا الذى أمنعك

فاصطربا فكان الشيطان على يد الشاب أثقل من
الجبل فطرحه الشيطان على الأرض وخنقه حتى كادت
تزهرق روحه . فأخذ يتوسل إليه أن يتركه .

فقال له : أتركك على أن تعبد الشجرة كما يعبدها
الناس ولا تمسها بسوء فقبل الشاب وفك وثاقه .

فقال الشاب : بالله عليك من أنت ؟ لقد كنت فى
بادئ الأمر على يدى أخف من الريشه ، ثم أنت الآن
كنت على يدى أثقل من الجبل .

فقال : أنا الشيطان مذل الجبابرة خدعتك بالدينارين
ففرحت بهما ونسيت الله عز وجل . فعندما جئت فى
بادئ الأمر جئت غاضبا لله عز وجل ولكنك فى المرة
الثانية جئت غاضبا من أجل الدينارين . فلو تمسكت
بالله ما قدرت عليك - فإذا خاف العبد ربه خافه
الشيطان وانصرف عنه ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَهْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا هَالِكٌ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ

وَأَنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى
عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(١)

فبالإيمان يقهر الشيطان

عن عروة بن الزبير قال : أن عائشة زوج النبي
ﷺ حدثته : أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً
قالت : فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع
فقال : (مالك يا عائشة أُغِرَّتْ ؟)
فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك
فقال : (أوقد جاءك شيطانك ؟)
قالت : يا رسول الله - أومعني شيطان ؟
قال : (نعم)
قلت : ومع كل إنسان ؟
قال : (نعم)
قلت : ومعك يا رسول الله ؟
قال : (نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم) ^(٢)

(٢) رواه مسلم

(١) الأنفال ٤٨

الإنسان والجن

سخر الله تعالى الجن لصالح البشر ولم يسخر البشر لصالح الجن ، وذلك لفضل الإنسان الذي خلقه سبحانه من التراب .

وضرب لنا ربنا سبحانه فى ذلك مثلا .

سخر سبحانه الجن لسليمان بن داود عليهما السلام
وداود هو الذى سخر الله تعالى له الجبال والطير
يسبحن معه بحمد الله وعلمه بقدرته صنعه الدروع
لحماية المؤمنين من عدوهم .

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمٌ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ .
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَاعِلِينَ . وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَهُ لَهَوْسٍ لَكُمْ لِنَبْلُوَكُمْ
مِنْ أَيْسِكُمْ فَبَلَّ أَنْتُمْ شَاكِرِينَ . وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
عَاصِفَةً تَجْهِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ . وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن

يَفْضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿١١﴾ .

أذل الله تعالى الجن وسخرها لنبيه الذى خلق من
التراب وجعل أمر الجن بيده يسخرهم فيما يشاء من
أعمال شاقه كالغوص وحقر الأنهار .

وظلوا يقومون بأشق الأعمال وأقساها حتى بعد أن
مات سليمان بعام أو أكثر وهو أمامهم متكأ على
عصاه ولكنه ميت لا تدب فيه الحياة فلما أكلت
الأرضته عصاه خر مغشيا فعند ذلك فقط علمت الجن
أن سليمان قد مات فتوقفوا عن العمل ولو كانوا
يعلمون بموته ما لبثوا فى العذاب المهين فهم لا يعلمون
الغيب الذى لا يعلمه إلا الله وحده .

إنما الغيب كتاب صانه
عن عيون الخلق رب العالمين
لا يبدو للناس منه سوى
صفحة الحاضر حيناً بعد حين

(١١) الأنبياء ٧٨ - ٨٢

والله تعالى يقول :

﴿ وَلَسَلْنَاكَ الرَّيْحَ هُدُوءًا شَهْرًا وَرَوَاحَهَا
شَهْرًا وَأَسَلْنَاكَ لَهُ حَيْنَ الْغَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ
بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ تُؤَذِّنُ رَبِّهِ وَأَمَّا يَتَزَوَّدُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا
فَذَلِيلٌ مِنَ الْعَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ
مِن مَّحَارِبٍ وَقَائِلَ وَجَنَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ
رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ هَادِي
الشُّكْرِ ۝ (١١) ۞

ولو كانت الجن أقوى من الإنس لالتبست جسم سليمان وعذوبته وذلك ما يتوهمه الجاهلون ، إلا أن الجن كان فى العذاب المهين بيد الإنسان ولم يتمكن من أن يرد العذاب عن نفسه فقد تملكه العجز وعدم القدرة . ولقد ثبت بالدليل القاطع أن الجن لا يعلمون من أمر الغيب شيئا فمن قال أن الجن تلبس بجسم إنسان فقد افتترى على الله تعالى وكذب قوله .

فقد كان سليمان يسخر الجن فى أشد أنواع الأعمال قسوه ولما مات لم تعلم الجن أنه قد مات فأين قوة

(١١) سبأ ١٢ - ١٣

الجن إذا الذى يستعملها ضد الإنسان كما يزعم
المفترون الجهلاء أن إنسانا قد تلبس الجن بجسمه فافقده
الوعى وجعله يهذى ويحضرون دجالا يزعم أنه أحرق
الجن وأخرجه .

رحمة بضعاف العقول والإيمان من عباد الله فالله
تعالى يؤكد لنا أن من قنع بالإيمان الحق عاملا بما أمر
الله تعالى ومنتهيا عما نهى سبحانه فإن الله تعالى
يرعاه ويستجيب دعاءه إذا دعاه فهو القائل سبحانه :
﴿ اذْهَبْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

ويقول سبحانه فى آية أخرى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ ﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ
نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٢) .

(٢) ق ١٦

(١) البقرة ١٨٦

ولقد وضع الله تعالى ضعف الجن في كتابه عز وجل في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام وذلك عندما طلب استحضار عرش بلقيس .

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا نَكْثُرُ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رُبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (١)

أبعد هذا يكون هناك عاقل يخيل إليه أن الجن يتلبس بجسم إنسان فيفقد الوعي وأن هذا الجن لا يخرج إلا ببعض التعاويذ وقراءة بعض آيات من الذكر الحكيم تغلب المؤمن الذي أتاه الله تعالى علم الكتاب على الجن واستحضر عرش بلقيس إلى سليمان قبل أن

(١) النمل ٣٨ - ٤٠

يرتد إليه طرفه فهل بعد ذلك من دليل فيه ولو شبهة
القدرة للجن أو العفريت ؟ كلا وأيم الله .

وليس فى الوجود من يملك الضر والنفع من إنس أو
جن حتى ولا لنفسه .

فرسول الله ﷺ يقول : « قل لو إجتمع أهل
الإنس والجن على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك إلا
بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك
بشئ فلن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله تعالى عليك
جفت الأقلام وطويت الصحف » .

ويظهر لنا من الآية الكريمة أن بلقيس مع كفرها لم
تكن متبرجة ولكنها كانت محتشمة محترمه حتى فى
ثيابها بدليل أنها عندما دخلت الصرح وخيل إليها أن
به ماء فكشفت عن ساقها المغطاه وكان المفروض أن
تظهر مفاتها وتتردى ملابس إغراء تلفت أنظار الذين
فى قلوبهم مرض وتستهويهم ليتقربوا إليها وليس فى
دينها ما يمنعها من ذلك .

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ
قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ
سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

* * *

(١) النمل ٤٤

آدم والتراب

خلق الله تعالى كل ما حوت الأرض من التراب
وجعل منه ما يدل على الإعجاز ، فهذا آدم عليه
السلام خلقه ربه من التراب من غير أب ولا أم ،
وخلق له حواء من نفسه من أب دون أم ، وخلق
عيسى من أم دون أب .

والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ﴾ (١)

- إعجاز وتكريم للتراب من رب العباد الذى خلق كل
شئ فأحسن خلقه ، أوجد الإنسان من التراب الذى
خلق له منه المتاع أخرج بقدرته من الأرض الزرع
والنخيل والأعشاب متشابها وغير متشابهه ووصف
سبحانه حدائق الأرض بالجنات لما فيها من حسن الخلق
وعظمة الخالق وجعل ذلك مثلا .

(١) آل عمران ٥٩

« وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا . كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ تَاتَى أَكْلَهُمَا وَلَمْ نَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ^(١) .

يتمكن الشيطان الضعيف من الوسوسة فى قلوب بعض الذين استحبوا أن يسيروا فى طريقه ولا يشكرون نعم الله تعالى عليهم من كثرة المال والزرع والولد ويخيل إليهم أنها نعم لن تزول فيظلمون أنفسهم ولا يعترفون بفضل الله عليهم فينصرفون عن شكره ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ هَٰؤُلَاءِ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٢) .

ونسوا أن من شكر الله زاده ومن كفر به فإن عذابه لشديد .

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٣) .

(١) الكهف: ٣٢، ٣٥ (١) سبأ: ١٣ (٢) إبراهيم: ٧

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالكعبة
فإذا به يسمع رجلا يدعو ربه ويقول :

اللهم اجعلنا من القليل ويكرر هذا الدعاء مرات

ومرات

فقال عمر :

ويحك يا رجل أليس هناك دعاء آخر تدعو الله به ؟
فقال الرجل وهو لا يعرف عمر : يا عبد الله أما قرأت
قول الله تعالى ﴿وَلَقِيلُ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

فرفع عمر رضى الله عنه يديه إلى السماء بالدعاء
اللهم اجعلنا من القليل . اللهم اجعلنا من القليل
اللهم اجعلنا من القليل .

مثل الله تعالى حدائق الأرض بالجنات التى تجرى
من تحتها الأنهار التى هبط منها آدم لما عصى ربه
واستمع إلى وسوسة الشيطان الذى قال له : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ
عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَمُوتُ﴾^(١) .

(١) طه ١٢٠

فجنة آدم التي هبط منها جنات النعيم وشجرة الخلد
التي أكل منها (هي شجرة اللذة وإنجاب الولد وليست
الجنة حديقة في الأرض كما يزعم البعض كما أن شجرة
الخلد ليست شجرة تفاح ولا تين ولا حنطة ولا شيء مما
ذكر السابقون ، ولقد تأثر بعض الذين زعموا أنها
شجرة تين بما ورد في سفر التكوين إلا صحاح الثالث .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة
للعيون وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها
وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فأنفتحت
أعينها وعلمتا أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا
لأنفسهما مآزر .

أما الهبوط من الجنة فقله تعالى : ﴿ قال اهبطا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم
منى هدى ... ﴾ .

قال البعض أن لفظ جميعا يشمل الشيطان معهما
وهذا خطأ فادح لأن الشيطان لن يأت الهدى وقد حقت
عليه كلمة العذاب من رب العالمين .

فالمقصود بمن سيأتيهم الهدى من الله آدم وطوا.
وما سيرزقان من الولد فمن اتبع منهم هدى الله وسلك
طريق الهداية فلا يضل فى دنياه ولا يشقى فى آخرته
ومن أعرض عن ذكر ربه ونسى فضله فسيحشره
يوم القيامة أعمى لنسيانه لآيات الله الواضحة .

إذن فجنة آدم التى هبط منها جنات النعيم وليست
جنة من جنات الأرض كما يزعمون .

ورب العزة سبحانه يرسل رحمته فيغفر بها للمؤمن
الذى خلقه من التراب ما دام فى طاعة الله .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض - وهى
الأرض التى لا ماء فيها فسمع صوتا فى سحابه
يقول : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ
ماءه فى حرة ، فإذا شجرة من تلك الشراج قد
استوعبت ذلك الماء كله ، فتنبع الماء فإذا رجل قائم فى
حديقته يحول الماء بمسحاته » .
فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟

قال : فلان للإسم الذى سمع فى السحابة .
فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟
فقال : إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه
يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟
فقال : أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها
فأتصدق بثلثه وأكل أنا و عيالى ثلثه ، وأرد فيها
ثلثه ^(١) .

فذلك فضل من الله تعالى ونعمة يخص بها من
خلق من التراب بفضله إذا كان فى حاجة إلى الماء
وليس فى الأرض ما يكفيه أرسل إليه الماء من السماء
فتحيا الأرض وتنبت من كل زوج بهيج .

» وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
بَهِيَجٍ ^(٢) .

فخلق الإنسان من التراب آية من آيات الله البينات
خلق البشر وجعلهم فى الأرض منتشرين يتحدثون

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى أبواب الزهد .

(٢) الحج ٥

بلهجات مختلفة وهم على أشكال وألوان مختلفة ومنهم
الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وكل ذلك من تراب
الأرض ، وخلق لهم من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها
وجعل بينهم مودة ورحمة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَاجْعَلَ أَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١)

ويقول رب العالمين :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ
إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعْتَرٍ وَلَا يُنْقِصُ
مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴾ ^(٢)

(١) الروم ٢٠ - ٢٢ (٢) فاطر ١١

وكم من جبار خلق من تراب الأرض وكفر وشك في
قدرة الله سبحانه على البعث يا للعجب فسبحان الله
العالمين لا مador ولا مبدع سواء . ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِيَتَلَفُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا نُجُورًا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَتَلَفُوا أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) يا للعجب .

﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجِبْ قَوْلُهُمْ أَنَذَا كُنَّا تَرَابًا
أَنَّا لَمِنَ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ
وَأُولَئِكَ الْأَقْفَالُ فِي أَهْنَانِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وفي آية أخرى يقول عز من قائل : ﴿ قَالُوا أَنَذَا
مِثْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِطَاءًا أَنَا لَمُبْعُوثُونَ . لَقَدْ
وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣) .

(٢) الرعد ٥

(١) غافر ٦٧

(٣) المؤمنون ٨٢

ينكرون قدرة الله على البعث بعد الموت وهو
أهون عليه ومع إنكارهم يتمنى الواحد منهم لو كان
تراها وذلك وقت الحساب وذلك لكفرهم بمن خلقهم
من التراب ونفخ فيهم من روحه فصاروا بشرا
ينتشرون .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُمْ هَذَا قُرْآنًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ
تُرَابًا ۝ ﴾^(١)

فكل ولد آدم أصلا من التراب وإلى التراب يعود
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ
تَارَةً أُخْرَى ۝ ﴾^(٢)

* * *

(٢) طه ٥٥

(١) النبأ ٤٠

الجن والشيطان

⑤

سمى الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، المسمى المسمى
وجن عليه الليل ستره الليل ، وسمى الجنين لاستتاره
فى بطن أمه والجنين هو القبر لستره الميت .

فمن قال أنه رأى الجن فقد كذب ، وكل ما كان
مستوراً كالقلب والروح والنفس فهو الجنان .

وقال ابن الأعرابي :

جن عَيْن أى ما جُنَّ عن العين فلم تره ، فالجن
موجود فعلاً إلا أنه يرانا ولا نراه ولا علاقة لنا به من
قريب أو بعيد .

ومن الجن من آمن ومنهم من كفر .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ
مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي
إِلَى الرَّشْدِ قَامَتًا بِهِ وَلَكِن نَّفَرِكُمْ نَسِيًّا أَحَدًا .
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا .
وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَيفِينَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾

إلى قوله تعالى :
﴿ وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَحَدًا . وَآمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا . وَالَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفَعْنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ هَذَاهَا صَعْدًا ۝ (١) .

والله تعالى لم يعط الإنسان القدرة على رؤية الجن والشيطان ولا يرى الجن إلا الجن ولا يرى الشيطان إلا الشيطان فمن زعم أنه رآهم فهو منهم ومن أوليائهم وليس من المؤمنين .

والله تعالى يقول :

﴿ ... إِنَّهُ بِرَأْسِكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ (٢) .

(٢) الأعراف ٢٧

(١) الجن ١ - ١٧

فالجن يرانا ولا نراه فمن زعم أنه رآه فقد وهم
وعليه أن يستغفر الله ويتوب .

نسأل الله تعالى لمن زعم ذلك الهداية والتوفيق .
وليس من العيب أن تخطأ ولكن العيب كل العيب أن
تخطأ وتتمادى فى الخطأ .

ولقد كان مشركوا العرب يؤمنون بالأوهام
والأساطير عن وجود الجن وقدرتهم على صنع الخوارق
وينسبون إليهم القدرة على النفع والضرر وجلب الأمراض
والشفاء منها .

ولقد ثبت أن رسول الله ﷺ لم ير الجن ولكنه
أوحى إليه أنهم كانوا يستمعون إليه عند قراءة
القرآن فأمنوا بوحداية الله عز وجل وقدرته على
الجزاء فى الآخرة وأن الغيب موكل إليه وحده والجن
لا تعرفه ومنهم من كفر والله تعالى يقول فى هذا
الشان :

﴿ وَآنَا لَا نَذَرُ أَشْرًا أُريدَ مِنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ
أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

ذكر الإمام الحافظ أبو بكر البهقي في كتابه دلائل النبوة :

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار - حدثنا إسماعيل القاضي أخبرنا مسدد . حدثنا أبو عوانه عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم » .

انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خير السماء - أرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم .

فقالوا : ما لكم ؟

فقالوا : حيل بيننا وبين خير السماء

وأرسلت علينا الشهب

قالوا : ما حال بينكم وبين خير السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها وأنظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خير السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين

خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو
تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامدا إلى سوق
عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا
القرآن استمعوا إليه .

فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء
فهناك حين رجعوا إلى قومهم .

قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا
بِهِ وَلَكِنْ نَشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ .

وأنزل الله على نبيه ﷺ « قل أوحى إلى أنه
استمع نفر من الجن »^(١) .

ولقد كانت الجن تسترق السمع من السماء كما
ذكر ، فأعد الله تعالى لهم رجوما تردهم وتحرقهم
إكراما لمحمد ﷺ وأمته لتكون لهم الغلبة على الجن
والشياطين .

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ .

(١) أخرجه البخارى ومسلم

وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسْمَعُونَ إِلَى
اللَّهِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ
شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١١﴾ .

وهناك الكثير من المسلمين في جهالة عمياء في
أمر الجن تتصور عقولهم الخربة أن الجن يظهر في
الأماكن الخربة أو في البحر أو مكان قتل فيه إنسان .
ويتوهمون أن للجن قدرة على النفع والضرر وأن له
سلطانا على الأرض ومن يسكنها من الإنس .

ولقد حاولت بنفسى عدة مرات أن أقتحم المقابر
ليلا متفردا دون أنيس لعلى أقابل جنا أو عفريتا
وكانت تلك هواية ، كما كنت أتعمد النوم في مكان
قتل فيه إنسان وأشاع الناس أن الجن تسكن المكان
وتؤذى من يحاول الإقتراب منه ، وكنت ولا زلت أتحدى
الجن والعفريت وأقسم غير حاث أننى ما حظيت بمقابلة
أحد أفراد الجن .

(١) الصافات ٦ - ١٠

ولقد تعمدت أن أجالس المدعين بتحضير الجن
وتوثقت صلتى بهم حتى أنهم سمحوا الى بحضور
الجلسات وحضرت يوما مع أحدهم وكان فاقد البصر
فأخذ يطلق الأكلجة ويتمتم وطال الوقت والجن لم يحضر
فلطمته بكل قوتي مرة ثم الأخرى فى أسرع من لمح
البصر فصاح من قوة اللطمة وكنت شابا فتيا فأخبرته
بقولى (لا تقلق فإن الجن قد حضر) .

فقال : تبت إلى الله ورجعت إليه على يدك ثم تاب
وحسنت توبته .

وأذكر يوما أننى كنت أعمل بإحدى الوظائف
الحكومية وكان مقر سكنى فى إحدى مراكز محافظة
الشرقية وكان ذلك قبل وباء الكوليرا بعامين ، وأنا
بطبيعتى أحب السكنى بمفردى ، فكنت أقطن بيتا
وحدى ، ولى هوية الزهور والحدائق فقامت باستئجار
حديقة فى أطراف البلد ولضيق الوقت اخترت رجلا
أعرفه على أن يكون حارسا للحديقة فى نظير نصف
ما ينتج منها وكان بها من الفواكه برتقال ومشمش
وعنب وجوافه وكنا نزرع الأرض بالخضروات إلا أننى

شعرت بالخيانة ولم أتمكن من أن أفصح عما فى صدرى
فسولت لى نفسى أمرا فأطعتها وكنت مراهقا فتخيرت
ليله ظلامها دامس فى آخر الشهر العربى وطلبت من
الحارس أن يأتينى بمنزلى وكان الوقت شتاءً وقليل من
الناس الذى يسير فى الطرقات بعد هذا الوقت . فحضر
إلى فى الوقت المحدد ، طرق الباب ففتحت له ألقى
السلام ودخل فأغلقت الباب وجلسنا فى إحدى
الحجرات وبها لمبة الغاز وأمرته أن يملأ كئكة القهوة من
زير المياه الفخار الموجود بصالة منزلى كأعزب فأطاع
وعندما دخل الحجرة أمرته أن يلف يده على الكئكة
ولا يمسكها من يدها وفى لمح البصر أغلقت الباب
وأطفأت السراج وأخبرته أن الجن سيحضر الآن وحذرت
من الحركة حتى لا يحترق وأخذت أقلب الماء بالملعقة
الصغيرة وكلما كثر التقلب تزداد حرارة المياه وهو
وحده الذى يشعر بها ثم قلت :

سمهورس ملك الجان اثبت لهذا الإنسان أنك
حاضر واصنع له ما يطلبه من شراب سواء قهوة أو
شاي .

ولما كانت المياه ارتفعت لدرجة حرارة لم يتمكن من أن يطيقها .

فقال : (اعمل معروف يا عم الحج أنا لا أرغب لا فى قهوة ولا فى شاي ولكن أطلب العفو والصفح أرجوك حلّ عنى اعمل معروف) فكانت الفرصة السانحة فسألته :

من الذى يسرق محصول الحديقة :

قال : أنا ولقد ثبت على يد السيده زينب وايديك .
إعمل معروف ابعد الجن عنى وهو يرتعد فأخذتها منه

سيقول بعض القراء ما هذا الخرف كيف ترتفع درجة حرارة المياه فأقول وهذا سر من أسرار الدجالين والنصابين الذى عافانى الله أن أكون منهم .

عندما أطفأت السراج وضعت قطعة من الصودا الكاويه فى الماء فكلما حركت الملعقة زاد درجة الحرارة ولم أتركه يقوم ولكنى كنت قد أعددت له نوعا آخر من أنواع النصب وقبل أن يقوم من مقامه إذا به يجد على الأرض حشرات تمشى ولها ضوء ظاهر فتملكه الخوف وارتعد وأخذ يستغيث من هذا الجن الذى

يسعى فى الحجرة حتى جمعته بسرعة ورددته مكانه
فى كيس من القماش .

كان ذلك نوع من الحشرات وضعت عليه نوعا من
الفسفور فكان يضىء فى الظلام حتى تأكد الرجل أننى
أحضر الجن فعلا وهذا غير صحيح .

وتلك قطرة من طرق التحايل والنصب .

* * *

٦

الشيطان

الشيطان معروف وهو من الجن ، (وكل عات متمرده)
من الإنس والجن والدواب شيطان ، والعرب تسمى
الحية شيطانا .

وقوله تعالى :

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(١)

قال الفراء : فيه ثلاثة أوجه

أحدهما : أنها شبه طلوعها فى قبحه برؤوس لشیاطین
لأنه موصوفه بالقبح .

والثانى : أن العرب تسمى بعض الحيات شیطانا وهو
ذو عرف قبيح الوجه .

الثالث : قيل أنه نبت قبيح يسمى رؤوس
الشیاطین

وكما أن من بين الجن شياطين فهم كذلك من بنى
الإنسان .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُرِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ هُرُودًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَلَهُمْ وَمَا
يَفْعَلُونَ ﴾ (١)

وسيحشر الله تعالى الجن والإنس ويحاسب كلا
على ما صنعت يده ولا مشى لمن عصى وكفر إلا
النار خالدين فيها أبدا وبئس المصير .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ
وَقَالَ أَزَلَّيْنَاهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْجَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَزَلَّيْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ
مَقَوَّاتٌ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبُّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَكَذَلِكَ نَوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
يَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِي
وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى
أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتُمْ الْهَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٢)

(٢) الأنعام ١٢٨ - ١٣٠

(١) الأنعام ١١٢

٧

قد يقول البعض :

إن الجن خلق من النار فكيف يعذب بالنار

فنقول :

أولا : خلق الإنسان من الطين فهلا إذا ضربته

بقطعة من الطين اليابس المتحجر ألا يشعر

بالألم ؟

ثانيا : إن النار والزمهرير عذاب وروى أن الحجاج

الثقفى كان مرضه الزمهرير كان يضع جسمه

فى النار فيحترق ولا يشعر بحر النار إنما

يشعر بعذاب الزمهرير .

وقدرة الله تعالى فوق كل قدره يعذب من خلق

من التراب بالنار والتراب وكذا يعذب من خلق من النار

بالنار أو الزمهرير وهناك أنواع من العذاب لا يعلمها

إلا الله الخالق .

والله تعالى يبين أن المؤمنين الصابرين فى جنات

التعيم لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا .

﴿ وَجَزَاءَهُمْ رَبُّهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ .
مَتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا
وَلَا ظَهْرًا ﴾ (١)

والله تعالى بفضله وهب الإنسان من القوة ما يقهر
به الشيطان فمن تهاون في قوته التي وهبها الله إياه
وضعف واستكان فلا يلومن إلا نفسه .

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ
لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا
قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَانَا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَيْنَاهُمْ
هَؤُلَاءِ ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

ومما سبق نرى أن الله تعالى وهب التراب صفة لم
يهبها لأحد من خلقه فقد جعله أقوى من النار الذي
خلق منها الجن والشيطان كما جعله أعظم قوه من الماء

(١) الإنسان ١٢ - ١٣ (٢) الأعراف ٢٨

التراب مملوء من رحمة الحمار

نصف قلوب الارض والسموات - رزقهم الله يثريها

فترى أن النار التي خلق منها الشيطان وظن
الشيطان أنها أفضل من التراب أنها أضعف منه
وأعطى الله تعالى ^(١) السيطرة الكاملة على النار
فأعظم النار التي يعجز الماء عن إخمادها لا يطفئها
ويوقفها عند حدها إلا التراب .

وكذا الماء إذا هاج وماج وأصبح كالطوفان لا يوقفه
عند حده إلا التراب بإقامة الجسور التي تحدد إقامته
فلا يستطيع الخروج من مكانه ، وكذا الهواء جعل الله
تعالى التراب أقوى منه إذ لا يمكن للهواء أن يتخلص
بما علق به من التراب وهو في تلك الحالة ذرات لا ترى
بالعين المجردة .

والأرض أم النار !

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا
فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ^(١) .

(١) يس . ٨ .

فها هي تخرج مما تنبت الأرض كما تخرج من
احتكاك أحجار الأرض بالحديد الذي يخرج من الأرض .

كما أنها أم الماء الذي يتفجر من الحجارة

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ
مِنْهَا الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

كما كانت مياه الأرض سببا من الاسباب في نجاة

نوح عليه السلام ومن معه في الفلك ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ
أَفْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ وَقَالَ ابْكُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُزْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ ۚ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى
نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا

(١) البقرة ٧٤

وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَتَأْتِي إِلَيَّ جِبِلٌّ
يَمُصُّنِي مِنَ الْمَاءِ . قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ . وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُفْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ
اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى
الْجُودَى وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ .

ومنها تخرج الزروع والكنوز والمجوهرات وكذا
الحديد وجميع ما ينفع الصناعات علميا وكيميائيا
فالأصل كله من التراب حتى البراكين التي تخرج
نيرانها من البحار فهي من التراب التي تجري عليه مياه
البحار .

التراب ^{منها}
إذا فالماء والتراب الذي خلق الله تعالى منه آدم
وذرئته من الصالحين والأنبياء والمرسلين ليس في
الوجود من يقاومه إلا إذا ضعف واستكان وبذلك
يكون قد ترك الفرصة لمن هو أضعف منه الذي خلق
من النار .

(١١) هود . ٤٠ - ٤٤

ولو أن الله تعالى خلق النار للعذاب والتنكيل إلا أنه فضله جعل فيها الفوائد لبنى الإنسان .

﴿ وَهَلْ آتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْذُنٍ عَلَى النَّارِ هُنَى . فَلَمَّا آتَاهَا نُورًا بَا مَوْسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاغْلُظْ عَنْكَ إِنَّكَ إِذْ تُنَادَى بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَٱسْمَعْ لِمَا يَوْمَى أَننَى أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَٱهْبِطْ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ ۝ (١) ۝

فكما جعل الله تعالى فى النار نعمة جعل أكثر عملها النعمة وأما التراب والأرض دائما فضل ونعمة إكراما لأنبيائه ورسله الذين خلقهم منها وخاصة سيد الناس أجمعين محمد ﷺ فقد جعلها له مسجدا وترابها طهورا فأينما أدركته الصلاة عليها فليصل وأمة تبعا له فى كرم الله تعالى له ، كما جعل فيها البيت الحرام سلاما وأمانا فمن دخله كان آمنا ولقوة الله تعالى

(١) طه ٩ - ١٤

الذى وهبها الأرض تكريما لها وتعظيما جعل الشيطان
الذى خلق من تلك النار الضعيفة يهرب الأتقياء
والعلماء ويخشاهم أشد خشية لأنهم لا يخشون الموت
فى سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دين الله الحق ورسول
الله ﷺ يقول : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
ورجل وقف أمام إمام جائز فوعظه فقتله .

والعلم دون التقوى وباء وبلاء وعمل من أحقر
أعمال الشيطان .

ولو أن العلم من دون التقى شرف

لكان أشرف خلق الله إبليس

أعاذنا الله تعالى من شره ونصرنا عليه .
ومما تقدم يتبين لنا بكل وضوح أن التراب أدق من
الدقة وأقوى من كل قوة وأن من خلق من التراب أقوى
وأعظم ممن خلق من النار إذا تمسك بإيمانه ودينه وعلمه
وخلقه .

ولن يتمكن شبابنا من استيعاب أوامر الله تعالى
إلا بالعلم النافع والإيمان واليقين وليس هناك طريق آخر

يوصل إلى النجاة ورحمة الله ، ولا بد للعلم من خُلُقٍ
يحفظه ويرعاه ، وعلى المؤمن أن يتواضع لمولاه ولا
يتعالى على إخوانه بعلمه وينسى أن فوق كل ذي علم
عليم ، ومن ظن في نفسه أنه قد علم فقد جهل .

علم العليم وعقل العاقل اختلفا

من ذا الذي منهما يحرز الشرفا

فالعالم قال أنا أحرزت غايته

والعقل قال أنا الله بى عرفا

فافصح العلم افصاحا وقال له

بأينا الرحمن فى قرآنه وصفا

فبان للعقل أن العلم سيده

فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

فنوصى شبابنا ومستقبل ديننا أن يستوعب دينه
بكل دقة وحب ويتأكد أنه أقوى من الشيطان فلا
يفضب ولا يفجر ولا يفسق . حتى يجد الله إلى
جواره فى كل لحظة وحركه وسكنه .

فيا أيها الأحباب أنتم أقوى وأشد من الشيطان
فكونوا عباد الله إخوانا يصلح أعمالكم ويدخلكم الجنة
عرفها لكم .

والحمد لله رب العالمين ،

الكاتب الإسلامي

عطية عبد الرحيم عطية

الزقاق ت : ٣٢٤٨١٤